الخطبة السادسة والأربعون
خطبة عيد الأضحى (١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ...

قال ﷺ: «أفضل الأيام عند الله يومُ النحر ثم يوم القَرِّ» أخرجه أبو داود (1765) وأحمد (19098) من حديث عبد الله بن قرط، وقال ﷺ «يوم النحر هو يوم الحج الأكبر» البخاري (3006) من حديث عبد الله بن قرط، ففي هذا اليوم الانطلاق من مزدلفة، ورمي جمرة العقبة وطواف الإفاضة والنحر والحلق ...

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، تلبية لنداء إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[الحج: 22/ 27 – 28].

الله أكبر يوم الغفران، الله أكبر يوم الرحمة، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة» مسلم (1348).

كلهم يدعو وكلهم يلبي وكلهم يشهد ... لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة، لك والملك، لا شريك لك، نقول: (لبيك اللهم لبيك) أي إننا أجبنا اللهم دعاءك، وما هو دعاؤك؟ دعاء التوحيد، دعاء الإخلاص، دعاء العبادة المحضة، تركنا أموالنا، وتركنا تجارتنا وتركنا أولادنا ونساءنا، تركنا ملابسنا وخلعنا الدنيا من أعناقنا وجئناك يا رب إلى حيث أمرتنا ووقفنا حيث أمرتنا ... لبيك لا شريك لك لبيك ...

أجبنا وآمنا بوحدانيتك ... آمنا بأنك الواحد الأحد الفرد الصمد، آمنا بأنك أنت المالك والرازق، آمنا بأنك أنت الواجد الماجد العاطي المتحنن المتمنِّن المتفضل، أنت المُعِّز المذِّل، أنت الخافض الرافع.

إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، كل ما في أيدينا منك ومن عطائك ومن فضلك، كل الشكر لك، وكل الفضل لك، وكل الحمد لك، أبوء لك بنعمتك علي، أعترف وأقر بأن كل شيء منك بفضلك بمنِّك وبكرمك، وأعترف وأقر بأن الحمد كل الحمد لك يا رب، وكل ما في الملكوت، وكل ما في الوجود ملك لك، أنت المتصرف فيه.

جئناك لتشهد لنا وتغفر لنا وترحمنا، لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك، هذه خطبة رسول الله ﷺ في عرفة «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا» أخرجه البخاري (1652) من حديث ابن عباس، ومسلم (1218) من حديث جابر بن عبد الله

لبيك اللهم لبيك ... نشهد أن دماءنا وأموالنا حرام، جئنا من بلاد بعيدة إلى عرفات نلبي دعوة الله سبحانه ونلبي نداءه، وما هونداؤه؟ نداء السمع والطاعة، نداء الإقرار بأن أموالنا ودماءنا حرام ... لبيك قولاً وفعلاً، لبيك قلبًا وفكراً، لبيك إيمانًا راسخًا ... إذا كان ذلك كذلك !! فلمَ السلب والنهب؟ لم الغش والخديعة؟ لماذا يأكل بعضنا بعضًا؟ إذا كنا لبينا قلبًا وقالبًا، قولاً وفعلاً، فأين البرهان؟ الأخ يأكل أخاه! والصديق يسرق صديقه! وكلهم لسان حاله: اللهم إني أسألك نفسي، أهي أقوال فارغة؟ أهي دعوات وصرخات مدوية؟ أهي طقوس فارغة؟ قوله ﷺ: «وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله» مسلم (1218) من حديث جابر، هل نتمسك بكتاب الله وسنته؟ أم إنها دعوى فقط نتمسك بما نحب، ونترك ما نكره.

وأمرنا قبلها بترك الربا فقال ﷺ: «وأول ربا أضع، ربا العباس بن عبد المطلب فإنه

موضوع كله» أخرجه مسلم (1218) من حديث جابر، هل تركنا الربا أم إننا سمينا الأشياء بغير مسمياتها ... وجعلناها تسهيلات للشعب، وجعلناها عمولة معاملات، أو سميناها (Lease) وما إلى ذلك، وتحايلنا على الله وشرعه.

وأمرنا بقوله ﷺ: «فاتقوا الله في النساء» أخرجه مسلم (1218) من حديث جابر، هل نتقي الله في بناتنا وأخواتنا ونسائنا، والجينز الضيق مع الكعب العالي وحجاب الرأس فقط صار الموضة المعهودة الآن، والعطر يفوح منها على بعد خمسين قدمًا، أهذه هي التقوى في النساء، قال ﷺ: «كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» أخرجه مسلم (1218) من حديث أبي هريرة.

وبعد كل هذا: لبيك اللهم لبيك ... ولا أحب إخواني ولا أنصح لهم، ولا نَتَّحِدَ بعضنا بعضًا، والله تعالى القائل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: 3/ 103]، وكلنا ضد بعضنا بعضًا، وكلنا في خلاف، فتن ما بعدها فتن، وهذه (Interfaith – دعوة وحدة الأديان) تفتك بين المسلمين وتفرق شملهم وتغير من عقيدتهم، وتدخل عليهم الملابسات، وتدعو إلى وحدة الأديان، والصلاة الموحدة، وعدم تكفيرهم، والتعايش السلمي، كل له دينه ومعتقده، ورئيس (ISNA – التجمع الإسلامي لشمال أمريكا) الآن مُزَّمَّلُ صديقي يدعو في كل المناسبات للتعاون مع (Interfaith) ويستشهد بأن رسول الله ﷺ تعاون مع المشركين في حلف الفضول ... اللهم إني أبرأ إليك من هذا الافتراء، قال ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قيل: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» أخرجه البخاري (6131) من حديث أبي هريرة، وقال ﷺ «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» أخرجه مسلم (1710)، وأحمد (8785) من حديث أبي هريرة، وقال ﷺ: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» أخرجه أحمد (17182)، والحاكم في المستدرك (331) من حديث العرباض بن سارية – د – ت – جه.

فيا أخي نأتي ونسافر ونلبس لباس الإحرام ونقول: لبيك اللهم لبيك ... والشهوات والهوى والافتراء على الله وعلى رسوله، كيف تصح هذه التلبية وفينا المهلكات، قال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، و كلمة الحق في الغضب والرضا» أخرجه أبو نعيم في الحلية (2/ 190)، والشهاب في مسنده (325)، والطبراني في الأوسط (5452) من حديث أنس بن مالك – صحيح.

وقال ﷺ: «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانـًا» أخرجه البخاري (5718)، ومسلم (2559) من حديث أنس بن مالك، وعنه ﷺ عن النبي ﷺ «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أخرجه البخاري (13)، ومسلم (45).

لذلك أخوتي في الله تعالوا لنتعاهد في هذا العيد، تعالوا لنتفق ونعقد العزم على جعل التلبية في هذا العيد حقيقية، قلبـًا وقالبـًا، فكراً وعقيدةً، تطبيقـًا ومسلكـًا ... لبيك اللهم لبيك بكل ما تأمر به ويأمر به نبيك الكريم، لبيك لا شريك لك، لا عبودية ولا طاعة ولا تشريع ولا أحكام إلا ما شرعته، ولا ذل ولا خشوع ولا خضوع إلا لك ولأوامرك، إن الحمد والنعمة لك والملك، أنت الرازق ولا رازق غيرك، وأنت العاطي ولا عاطي غيرك، الخير كله منك، والحمد كله لك، والشكر لك، والثناء لك، اللهم ألهمنا الشكر والثناء الجميل يا إله العالمين حتى ترضى ...

الخطبة الثانية ... الحمد لله حمداً كثيراً طيبـًا مباركـًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ...

عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله من هِرَاقَةِ دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم لَيَقَعُ من الله جل جلاله بمكانٍ قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسـًا» أخرجه الترمذي (1493)، وابن ماجه (3126).

وعن زيد بن أرقم، قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال ﷺ: «سنة أبيكم إبراهيم»، قالوا: ما لنا فيها؟ قال ﷺ: «بكل شعرة حسنة» قالوا: فالصوف؟ قال ﷺ: «بكل شعرة من الصوف حسنة» أخرجه أحمد (19302)، وابن ماجه (3127).

أيها المؤمنون، أعود فأذكر بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[آل عمران: 3/ 105]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُنَاصحُوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال» أخرجه مسلم (1715)، وأحمد (8785)، وليس عند مسلم قوله ﷺ «وأن تناصحوا ولاة الأمر ... إلخ».

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغلُّ عليهم قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين» أخرجه أحمد (16784)، والترمذي (2658) من حديث ابن مسعود، وعن الحارث بن الحارث الأشعري (أبي مالك) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» أخرجه مسلم (223)، والترمذي (3517).

وعن أبي سعيد بن فضالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» أخرجه أحمد (15876)، والترمذي (3154).

عن المستورد بن شداد قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها؟» قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله، قال ﷺ: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» أخرجه الترمذي (2321) من حديث المستورد بن شداد.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله

جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» أخرجه الترمذي (2320).

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[آل عمران: 3/ 185].

لقد عمّم الله سبحانه بقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي كل ما في الحياة الدنيا ثم حصرها وضيقها بأنها متاع، أي إنه ينتفع بها أو يستلذ بها زمانـًا قصيراً، وقوله ﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ معناه أن الدنيا خدّاعة كذّابة، ومن ركض وراء الدنيا فلن يصل إلا إلى القبر ولا يملأ فاه ابن آدم إلا التراب ...

اللهم تقبل منا وتب علينا يا أرحم الراحمين، اللهم أحسن وقوفنا بين يديك، وأخلص أعمالنا إليك ولا تخزنا يوم العرض عليك، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه حبيبك ونبيك محمد ﷺ، وأستعيذك من شر ما استعاذك به حبيبك ونبيك محمد ﷺ، اللهم آمين ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين